# في ظلال الريف(*)

ذكرى كفوّاحِ العبيرْ ... هاجتْ بأحناءِ الصدور
واستيقظتْ في النفسِ يُشـ ... ـعِلها كجيَّاشِ الشُّعور
دعْ عهدها فلقد تولى ... عنكَ في عمر الزهور
لنْ يرجعَ الماضي ولنْ ... يتحقَّق الأملُ العسير
فانسَ الحديثَ عن الأحـ ... ـبَّةِ والليالي والبُدور
وظباءُ حُسنٍ في ربو ... عِ الريفِ من غيدٍ وحور(١)
تَيَّمن قلبكَ وامتلكْن ... زِمامهُ فهو الأسير(٢)

* . * . * . * . *

كمْ بالقرى من غادةٍ ... حسناءَ كالرشأِ الغرير(٣)
النائماتِ لدى العشيِّ ... القائماتِ لدى البكور
الحاملاتِ جرارهنَّ ... وقد سعينَ إلى الغدير
لا الجسمُ أضناهُ التأ ... ودُ لا ولا أَنتكتِ النُّحور(٤)

---

(*) نشرت في مجلة «النهضة» الأزهرية ١٥ فبراير ـ شباط ـ ١٩٥٤ . نظمت في نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٣ .

(١) الغيد : جمع غيداء أو غادة وهي المرأة الناعمة.
الحور : النساء اللواتي عيونهن كبيرة وهي شديدة البياض والسواد.

(٢) تيمّن قلبك : أي أخضعه وأذللنه من الحب.

(٣) الرشأ الغرير: الرشأ هو ولد الظبية الصغير.

(٤) التأود: التكسر والتلوي.

الحافظاتِ على الليا ... لي قُدسَ عهدٍ للعشير
السافراتِ وفي شما ... ئِلهنَّ حِصنٌ للسفور
وبرزْنَ في أخلاقِهنَّ ... حياءُ ربَّاتِ الخدور[1]
سُقيا لعهدٍ قد تولّـ ... ـى في ربا الريفِ النَّضير[2]
أيامَ ألهو في الحقو ... لِ فراشةً أخذتْ تطير
وأجرُّ في أرباضها ... ذيلَ الطفولةِ في سرور[3]
ذاكَ الزمانُ مضى بهِ ... كرُّ الليالي والشهور
لا الطفلُ طفلٌ في الحقو ... لِ ولا الصغيرُ بها صغير
أينَ الليالي الحاليا ... تُ بساطعِ البدرِ المنير[4]
وَعَصاً تأدبنا بها ... في مكتبِ الشيخِ الضرير
وضفائرُ الصفصافِ قد ... مالَتْ على الماءِ النمير
لثمتْ صحيفةَ وجهِهِ ... فانسابَ يهمسُ بالخرير
ماضٍ تولى من صِبا ... غُصنٍ ومن بشرٍ قصير
وعلى ضِفافِ النهرِ تحـ ... ـتَ التوتِ ساقيةٌ تدور
يمشي بها ثورٌ تغشَّـ ... ـاهُ الكلالُ فلا يَخور[5]
حَجَبوا العيونَ فما رأى ... في أيِّ دائرةٍ يسير
قَدْ أحزَنتها حالُهُ ... فبكتهُ بالدمعِ الغَزير
ويحثُّهُ من خَلفهِ ... سوطٌ لهُ لفحُ السعير
قدْ أمسَكتهُ يدٌ بها ... لشقاءِ صاحبها سطور

---

(١) الخدور: من الخدر بمعنى الستر. أي النساء العفيفات المتحجبات.
(٢) سقيا لعهد: يدعو لذلك العهد بالخير لأن السقيا من الخير والبركة.
(٣) ربض الشيء : ما حوله.
(٤) الحاليات : بمعنى الطيبات.
(٥) الكلال : التعب . يخور : الخور صوت الثور.

في شقوةٍ يحيا على الأيامِ في عيشٍ مرير
قد عَضَّهُ البؤسُ الممضـ ـضُ بنابِهِ وهوَ الشكور
وعلى احتمالِ أسى الحيا ةِ يعينُهُ ولدٌ أجير
وهناكَ فوقَ الأرضِ قو مٌ يعملونَ بلا فُتور
وعلى الفؤوسِ قد انحنتْ منهمْ وقوَّستِ الظُّهور
الكادحونَ وما اشتكوا حرَّ الظهيرةِ والهجير
والشاربونَ لدى إنبلا جِ الفجرِ كأسُ الزمهرير
ولربَّ طائفةٍ عليـ ـها مالكٌ أبداً يحور[1]
صاغتْ حشَاشة قَلبها ذهباً لأربابِ القصور[2]
يا ريفُ يا مهدَ الجمالِ ومصدرَ الخيرِ الوفير
يا أيها العاني المر يض أَمَا لموتِكَ من نشور؟
أَبِكَ الكهوفُ منازلٌ أمْ تلكَ أبياتٌ وَدور؟
كَيف اتقاءُ الداءِ بعـ ـدَ العيشِ في هذي القبور؟

* . * . * . * . *

حييتَ يا حصنَ الفضيلةِ يا حِمى الشرفِ الغيور
مَن لمْ تُدنَّسْ أرضهُ مدنيةٌ كذبٌ وزور
إن طالعتكَ لها المعا وِلُ حُطِّمتْ فوقَ الصخور
كَم أهملوا الإصلاحَ فيـ ـكَ وأنت عانٍ لا تبور
كمْ أخلفَ الوعدَ الذي أعطاكهُ منهم وزير
فاخلعْ رداءَ الجهلِ إنّ العلمَ بينَ الناسِ نور
والبسْ ثيابَ المجدِ أنـ ـتَ بثوبهِ أبداً جدير

---

(١) حار : حار يحور حوراً، وحؤراً: رجع ونقض، وهنا بالمعنى الثاني.
(٢) الحشاشة : ما يضمه باطن الإنسان.